مادّة: المدخل إلى علم الآثار
السّداسي (1) للسّنة (1) جذع مشترك علوم إنسانية (ل.م.د)

المحاضرة (02): مدارس علم الآثار

يأتي التقسيم التاريخي أو المكاني كأحد الفضاءات التي تحدد مجال دراسة علم الآثار والتي ينبغي على الأثري أن يكون ملماً بالمعلومات الأساسية عنها وعن مميزات كل حضارة وفن، لتساعده على فهم المكتشفات والطبقات الأثرية. ففي البداية يمثل علم آثار ماقبل التاريخ القاسم المشترك بين شتى العلوم أو التخصصات الأثرية. ثم تأتي بعد ذلك العصور التاريخية والتي تبدأ بمعرفة الكتابة وغالباً ما ترتبط بالزمان والمكان لتحديد مجال هذا التخصص، فمثلاً علم الآثار المصرية القديمة يقصد به كافة المراحل الحضارية التي شهدتها مصر بحدودها السياسية والطبيعية عبر العصور ـ منذ عصر ما قبل الأسرات حتى نهاية العصر الروماني.

ـ علم آثار ما قبل التاريخ *L'Archéologie préhistorique*

يشمل هذا العلم في دراسته كل مخلفات الإنسان في مراحل ماقبل اكتشاف الكتابة، لذا فهو يفتقد لعلوم اللغات، كما يعتمد في منهجه على وسائله الخاصة. ولما كانت مراحل الاستقرار البشري في مختلف الحضارات تختلف زمانياً إلا أنها تتشابه من حيث المظاهر وسبل الحياة ووسائلها، فهدف علم آثار ما قبل التاريخ هو إعادة رسم تطور الحضارات المبكرة من بداياتها في خطوط عريضة غالبا ما تفتقد الدقة ولكنها تأتي بشكل تقريبي لذا فإن علم آثار ما قبل التاريخ يدرس سلسلة حضارات بشرية تبدأ بأول ظهور للإنسان منذ العصور السحيقة حتى فترة فجر التاريخ *Protohistoire* ووصولا إلى العصر التاريخي.

والتقسيمات الكبرى لما قبل التاريخ المعروفة هي:

ـ العصر الحجري القديم (الباليوليتي)*Paléolithique*

ـ العصر الحجري الوسيط (الميزوليتي)*Mésolithique*

ـ العصر الحجري الحديث (النيوليتي) *Néolithique*

ـ العصر النحاسي

ـ العصر البرنزي

ـ العصر الحديدي

ـ علم آثار الشرق الأدنى

يهتم هذا التخصص بدراسة حضارات الشرق الأدنى الأسيوي، وهو أكثر التخصصات تعقيدا، حيث يفتقد للاتصال والتواصل الزمني بين حضاراته كما تتسع مساحته المكانية ومجالات البحث مما أضاف كثيرا من التعقيدات وعلى الرغم من هذا إلا أن هذا

التخصص شهد تطورا ملحوظا في الآونة الأخيرة أسفر عن كثير من المكتشفات التي أدت إلى وضع إطار عام لهذا الاختصاص.

- علم الآثار المصرية *L'Egyptologie*

يهتم هذا العلم بدراسة آثار مصر القديمة وهو من العلوم التي تتميز بحدود مساحته المكانية والزمنية إذ يشمل تلك المساحة المكانية التي يحدها من الشمال البحر المتوسط ومن الشرق البحر الأحمر ومن الجنوب بلاد النوبة العليا ومن الغرب الصحراء الليبية أي أنه يضم وادي النيل وصحاريه الشرقية والغربية بدروبها ومسالكها التجارية وعلاقات مصر بجيرانها تجاريا وعسكريا تلك هي حدود هذا العلم أما مساحته الزمنية فهي تمتد من عصر ماقبل التاريخ حتى الفتح العربي لمصر.

- علم الآثار الكلاسيكية *L'archéologie classique*

يهتم هذا العلم بدراسة آثار الحضارتين اليونانية والرومانية، ونظرا لتنوع آثار تلك الحضارتين وتعدد تنوع التنقيب ونتائج الحفائر الهامة وظهور مشكلات في عملية البحث والتاريخ والخلط بين اليوناني والروماني أدى إلى ضرورة تقسيم هذا العلم إلى قسمين الأول يهتم بدراسة الآثار الإغريقية والثاني يهتم بدراسة الآثار الرومانية، مما يؤدي إلى وجود علوم متخصصة في كل فرع مما كان له بالغ الأثر في ظهور دراسات مقارنة توضح التأثيرات المتبادلة والامتزاج الحضاري وأوجه الشبه والاختلاف والفروق الجذرية بينهم في العصور المبكرة ثم الامتزاج الأخير خاصة في العصر الروماني حينما امتدت السيطرة الرومانية لتشمل كل مراكز الحضارة اليونانية نفسها.

أولا: علم الآثار الإغريقية *L'archéologie grecque*

لعل الاهتمام المبكر بعلم الآثار الإغريقي أدى إلى تقدم هذا العلم عن سائر علوم الآثار الأخرى وكشف النقاب عن كثير من ميادين هذه الحضارة ويشمل هذا الاختصاص مساحة مكانية وزمانية مختلفة.

ومن الخطأ أن نقرن الحضارة اليونانية ببلاد اليونان الأصلية دون غيرها لأنها لم تكن سوى مركزاً من عدة مراكز تنتشر في البحر المتوسط فعلى سبيل المثال كان ساحل آسيا الصغرى الغربي يمثل مركزاً حضارياً هاماً في العالم اليوناني رغم أنه لا ينتمي لبلاد اليونان، ومن ناحية أخرى فإن الجزء الشمالي المنتمي لقارة أوروبا لم يندمج اندماجا تاما في العالم الهلليني حتى القرن الرابع قبل الميلاد كما امتدت الهجرات اليونانية لتصل إلى الشمال الإفريقي وتأسست مدن ومستعمرات ، ومع نشر الفكر الهلليني خارج حدود بلاد اليونان على يد الاسكندر الأكبر وصل المد الإغريقي ليشمل معظم دول حوض البحر المتوسط.

ثانياً: علم الآثار الرّومانية *L'archéologie romaine*

هذا التخصص هو القسم الثاني من علم الآثار الكلاسيكية والذي نشأ باحثا في عصور الحضارة الأوروبية ويهتم بالعديد من الحضارات التي سكنت شبه الجزيرة الإيطالية أو التي امتدت إليها السيطرة الرومانية فيما بعد ويأتي في مقدمة هذه الحضارات الحضارة الإتروسكية ثم حضارات المدن اليونانية والفينيقية في الجنوب مثل صقلية وسردينيا التي استقبلت الإغريق والفينيقيين وكانت المدن التي أسسوها ذات تأثير واضح في تشكيل وصياغة الحضارة الرومانية مع التأثير الإتروسكي الواضح.

أما المرحلة الثانية فهي تشمل كافة الأماكن التي سيطرت عليه جيوش روما ونقلت إليها مظاهر الحضارة الرومانية في العمارة والفنون والعبادات والعملة والمقاييس والأوزان ويسري هذا على الإسهامات الرومانية في شمال أفريقيا مثل: لابتيس ماجنا (لبدا الكبرى) وقرطاج وتيمقاد وجميلة وغيرها من المدن، وهنا يجب أن نوضح أن تلك المدن أفرزت فنا مختلطا يحمل سمات محلية تخص شعوب تلك البلدان والعناصر الحضارية الرومانية بصفة عامة وخاصة في مجال العمارة والفنون الزخرفية المعمارية

أما آخر هذه المراحل فهي الحضارة البيزنطية نسبة إلى بيزنطة عاصمة الإمبراطورية الشرقية عقب تقسيم الإمبراطورية الرومانية ويشمل هذا العلم دراسة النتاج الحضاري لشعوب المناطق التي شملتها الإمبراطورية البيزنطية أثناء الفترة التي عاشتها تلك الإمبراطورية والتي غالبا ما تنتهي بالفتح العربي لهذه البلدان

ومجمل القول إن علم الآثار الكلاسيكية لا يشمل فقط بلاد اليونان والرومان بل يغطي مساحة مكانية تشمل حوض البحر المتوسط الذي كان يوما بحيرة حضارية كلاسيكية انصهرت فيها الحضارات القديمة الراسخة مع الحديثة الفتية.

- علم الآثار الإسلامية

علم الآثار الإسلامية يشغل مساحة مكانية متسعة النطاق تشمل المنطقة من الهند شرقا إلى المغرب غرباً على الرغم من ثراء مادته الأثرية وانتشارها في ربوع هذه المنطقة الشاسعة من العالم إلا أنه لم يلق نفس الاهتمام الذي لاقاه علم الآثار الكلاسيكية ولعل أهم الخصائص التي يتميز بها علم الآثار الإسلامية عن سائر علوم الآثار الأخرى أنه الأكثر ثراء في مجال الفنون والصناعات الزخرفية.

ويشغل علم الآثار الإسلامية مساحة زمنية تبدأ بالفتح العربي للمناطق المجاورة لموطن الرسالة المحمدي وهي تتباين من بلد إلى أخرى فعلى سبيل المثال يبدأ العصر الإسلامي في مصر عام 642 م. وهنا تجدر الإشارة إلى أن هناك علم آثار عربي يخضع لدراسة الآثار العربية قبل ظهور الإسلام ومساحته المكانية تشمل شبه الجزيرة العربية وعلى الرغم من أن علم الآثار الإسلامية يبدأ مكانيا من شبه الجزيرة العربية وأن الإسلام بدأ

من هناك إلا أنه تخطى كل الحدود وفاق كافة حدود علوم الآثار الأخرى بما فيها علم الآثار العربي.

- علم آثار الشرق الأقصى

هذا التخصص يهتم بدراسة آثار الهند واليابان والصين القديمة، وعلى الرغم من التباين الواضح بين هذه الحضارات إلا أن اتساع حدود بعضها مثل الصين وانحسار مساحة الأخرى المكانية مثل اليابان إلا أنها تكتسب سمات حضارية محلية نابعة من بيئتها وحدودها الطبيعية خاصة الجزر اليابانية وشبه الجزيرة الهندية حيث توالت الاكتشافات الأثرية في الصين مما كان له بالغ الأثر في تغيير المفاهيم الحضارية وتعديل الجداول التاريخية خاصة فيما يتعلق بمجالات ما قبل التاريخ وما قبيل التاريخ.

- علم الآثار الهندوأمريكي

يهتم هذا التخصص بدراسة الحضارة الخاصة بسكان أمريكا الجنوبية الأصليين أي أن مساحته المكانية تشمل قارة أمريكا الشمالية في أجزائها الوسطى والجنوبية بينما تشغل مساحته الزمنية كل الحقبة السابقة لاكتشاف أمريكا على يد كريستوفر كولومبوس وما قبيل الحروب الأهلية الأمريكية.

- علم الآثار الأفريقي

يهتم هذا التخصص بدراسة الحضارتين الإفريقية بسماتها المحلية في شتى بقاع القارة السمراء، ويهدف إلى البحث عن آثار القبائل المختلفة في الكهوف وتحديد مواقع هذه المدن المفقودة ذلك على الرغم من الطابع الترحالي لمعظم هذه القبائل، وذلك بهدف إبراز دور المدنيات والحضارات الإفريقية في الثقافة الإنسانية، وإسهاماتها المحلية وأحياناً على الحضارة المصرية القديمة نفسها.